الكتـــاب الأول

نبـذة عن صنـاعـة البتـرول فى مصـر عنـد قيـام الثـورة وما بعـدها

نبذه عن صناعة البترول فى مصر

عند قيام الثورة وما بعدها

فى بداية ثورة يوليو اهتمت الحكومة بالاستثمار فى توسعات هامة بمعمل تكرير البترول الحكومى بالسويس. وانعقد الأمل فى أن تكون هذه التوسعات بداية انطلاقة لصناعة البترول الوطنية، تكون علامة على الطريق وإنجازا رائدا فى المنطقة العربية بأكملها.

كانت صناعة البترول فى يد الشركات الأمريكية والإنجليزية والهولندية: فى مصر والعراق والسعودية والكويت والبحرين واليمن وليبيا. أما صناعة البترول بالجزائر فكانت مملوكة لشركات فرنسية.

محاولة مصدق لتأميم صناعة البترول فى إيران كانت سببا فى عزله وسجنه حتى يكون فى ذلك عبرة للدول البترولية العربية.

أما فى مصر فكانت حقول البترول برأس غارب ومعمل تكرير البترول الرئيسى بالسويس ملكا لشركة آبار الزيوت الإنجليزية المصرية - التى كانت تمارس نشاطها فى وجود القوات البريطانية على أرض مصر. وهى شركة بريطانية هولندية تساهم فيها شركة «شل» بنسبة كبيرة وكانت فى ذلك الوقت تملك أيضا صناعة البترول بإيران والبحرين والعراق.

بعد قيام ثورة يوليو ألغت شركة آبار الزيوت مشروع الإصلاح بالعامل الوسيط الذى كان مخططا لمصفاة السويس كما ألغت أى مشروعات أو توسعات بهذه المصفاة.

ورأت حكومة الثورة أن تبادر بالاستثمار فى قاعدة صناعية بترولية مصرية وطنية مملوكة للدولة وتديرها كوادر مصرية، واختير معمل تكرير البترول الحكومى بالسويس لهذا الغرض، حيث تقرر إنشاء مجمع التفحيم الذى كان أكبر مشروع بترولى وطنى فى منطقة الشرق الأوسط فى ذلك الوقت، وكان الغرض من إنشائه هو تكرير خامات بلاعيم الثقيلة وتحويلها إلى مقطرات وسطى من السولار والديزل. وفازت شركة برون الأمريكية بكاليفورنيا بأعمال التصميمات الأساسية لهذا المُجَمّع الذى يضم أيضا وحدات لفصل العطريات وإنتاج مادة الدوديسيل بنزين، وهى المادة المنتجة للمنظفات الصناعية. أما التصميمات التفصيلية والتوريدات فقد نفذتها شركة إيطالية.

أهم ما حدث فى هذه التجربة هو كسر احتكار الشركات الإنجليزية لصناعة البترول وإنهاء تحكمها فى تزويد الاقتصاد المصرى بالوقود. وكان التعاقد مع شركات أمريكية وإيطالية

محل ارتياح فى ذلك الوقت لأنه كان قرارًا مصريا بعيدا عن نفوذ بريطانيا. وقد رحبت الكوادر المصرية بذلك التوجه لسببين:

الأول: هو الخروج من هيمنة «شل» بما حملته عبر السنين من نظرة فوقية إزاء الكوادر المصرية، تستند إلى التفوق التكنولوجى واحتكار المعرفة بشئون صناعة البترول وسلطات كبيرة كمالك ورب العمل تحميها القوات البريطانية ونفوذ بريطانيا لدى الحكومة المصرية. ولقد احتكر الأجانب فى هذه الشركة مواقع الإدارة العليا.

الثانى: أتاح مشروع التفحيم فرصة جيدة للتقارب والتفاعل مع برون الأمريكية ونشأ عن ذلك علاقات جيدة بين ثلاثة من الشخصيات المصرية التى سيصبح لها شأن فى صناعة وتكرير البترول المصرية وهم المهندسون: رمزى الليثى وسامى أندراوس وسليم كيرلس. وكان الأول متأثرا بفترة دراسته ببركلى - كاليفورنيا. أما الثانى والثالث فهما من أبناء شركة «آبار الزيوت الإنجليزية المصرية» الذين أفادوا من ثورة يوليو فى صعودهم إلى مواقع هامة جدا بالشركة الوطنية، حيث كان سامى أندراوس مدير المشروعات المسئول عن التوسعات والاستثمارات. وسليم كيرلس مدير العمليات المسئول عن التشغيل والإنتاج. وآلت اليهم السلطات بمعمل تكرير البترول الحكومى الذى تغير اسمه إلى شركة السويس لتصنيع البترول. وكان تنفيذ وبدء تشغيل مجمع التفحيم خبرة جديدة لهم جميعا. وشكل مدرسة للتعليم لهم ولغيرهم من المهندسين المصريين، وصادف بدء التشغيل صعوبات كثيرة نتيجة احتواء خام بلاعيم على مكونات لم تكن معروفة قبل التصميم. تسببت فى تأخير التشغيل وإدخال تعديلات على التصميم بعد اكتمال التنفيذ. وبعد سنوات ترقى سامى أندراوس إلى مدير عام المشروعات بهيئة البترول وأصبح المهيمن على مشروعات وإستثمارات قطاع البترول بأكمله.

إلا أن سامى أندراوس لم يكن سعيدا بهذا المنصب الحكومى الهام وكان يشعر بحنين وافتقاد لأيام عمله بشركة «شل» مع رؤسائه الإنجليز. ولم تكن زوجته الإنجليزية سعيدة بتأميم شركة «آبار الزيوت الإنجليزية المصرية» ورحيل الإدارة الإنجليزية عن مصر وقطاع البترول. وانتهج هذا الفريق من هذه المدرسة سياسة ذكية فى التعامل مع رجال ثورة يوليو. فبدلا من التسليم باستبعادهم الذى كان سيقضى على مستقبلهم فى صناعة البترول المصرية قرروا الاندماج فى أعلى مستويات القرار بما يوفر لهم فرص امتلاك القوة وصناعة القرار. ثم كان توزيع الأدوار فانضم البعض إلى الاتحاد الاشتراكى ومنظمات الشباب حتى أن الكيميائى يوسف الغزولى الذى كان نائب مدير المعامل الكيماوية فى شركة «آبار الزيوت الإنجليزية المصرية» بالسويس. استطاع أن يصبح مديرا لمكتب وزير الداخلية شعراوى جمعة (أحد أركان النظام).

أحمـــد هـلال

أدرك أهمية امتلاك القدرة على تصميم المشروعات البترولية

كان أول لقاء لى مع المهندس أحمد هلال فى عام ١٩٥٣م خلال فترة التدريب الصيفية بمعمل تكرير آبار الزيوت الإنجليزية المصرية. كان فى ذلك الوقت مسئولاً عن وحدة تكرير لتحويل المقطرات الثقيلة إلى مقطرات خفيفة ووسطى تسمى وحدة «الدوبز». جمعنا فى ذلك الوقت الانتماء إلى قسم الهندسة الكيماوية الذى كان أحمد هلال أحد خريجية، دفعة (١٩٤٦م): كنت ممتناً لرعايته وتشجيعه لى على عكس بعض زملائه الآخرين الذين لم يخفوا عدم ترحيبهم بنا وعدم الرغبة فى إعطائنا وقتًا أو معلومات فنية.

امتدت العلاقة مع المهندس أحمد هلال بعد تعييني بمعمل تكرير البترول الحكومى وخلال وجودى بالولايات المتحدة حتى عام ١٩٦٥م حيث شجعنى على العودة إلى مصر لخدمة قطاع البترول، وكان هو فى ذلك الوقت مدير عام التكرير بهيئة البترول، وكان قد سبق أن دعانى للعودة عام ١٩٥٩م عند تعيينه فى هذا المنصب للعمل مديرًا للعمليات بالهيئة، إلا أننى اعتذرت عن ذلك فى حينه لأن ذلك كان سيقتضى عدم اتمام دراستى بالولايات المتحدة.

وصدر فى عام ١٩٦٦م قرار بتعيينى مديرًا للتطوير والتكنولوجيا فى شركة السويس لتصنيع البترول بناءً عن طلبه وموافقة صلاح فريد ورمزى الليثى.

ولعل فى هذه القصة ما يكشف عن فكر هلال التقدمى وإدراكه لأهمية التكنولوجيا والاعتماد فى النجاح والتقدم على الكوادر الشابة الواعدة. ولم يكن هذا الفكر شائعًا بين غالبية القيادات فى ذلك الوقت. بل كان الغالب هو امتهان الشباب للسياسة فى أنشطة الاتحاد الاشتراكى ومنظمات الشباب أملاً فى أن يجعلهم هذا من أهل الثقة المؤهلين لتولى مناصب مميزَّة. وصاحَب ذلك تشكيك فى وطنية خريجى الجامعات الأمريكية لتأثرها بفكر غير اشتراكى وبالتالى فقد كان المناخ العام طاردًا لمثل هذه الكوادر والكفاءات.

تأثر هلال فى تكوينه بنشأته بالإسكندرية فى حى شعبى «الأنفوشى» وبفترة دراسته بالكلية التى اندمج فى مجتمعها اندماجاً كاملاً وخاصة فى الأنشطة الرياضية وبوالده الضابط الكبير

حسن هلال أمين عام وزارة الحربية. كما تأثر بحياته العملية بمعمل تكرير السويس تحت إدارة أجنبية التى لم تؤثر على مصريته. وكان لديه قدراً كبيراً من الذكاء الاجتماعى يُمكنه من تكوين علاقات طيبة مع العاملين. خلال رئاسته لهيئة البترول كان يعرف جميع العاملين بالهيئة من موظفين وعمال بالاسم ويحرص على المرور بهم وتحيتهم فرداً فرداً فى مناسبات عيد الفطر وعيد الأضحى . كما كان يذكر أعياد ميلاد معاونيه ويحرص على الاتصال بهم لتهنئتهم فى ذلك اليوم. كان بسيطاً قريباً من الناس محبًا لهم. استطاع أن يجعل من قطاع البترول أسرة واحدة، وكان لروح الأسرة فضلاً كبيرٌ فى نجاح القطاع وتغلبه على كثير من التحديات والأزمات. منها حرب ١٩٦٧ و١٩٧٣م وضرب معامل التكرير بالسويس. لا شك أن له فضل كبير فى وضع كثير من الأسس التى سار عليها قطاع البترول من بعده. وقد ساعدته هذه التوليفة على أن يكون مديراً ممتازاً ثم قائداً فى العمل جيداً يتمتع بديناميكية وحيوية وذكاء. يبث الحماس والتفاؤل فيمن حوله ويشجعهم ويفوض لهم صلاحيات واسعة. وأحبه من عمل معه، وهو رئيس هيئة البترول ووهو وزير البترول.

وقد ساعدته نشأته فى بيت عسكرى على التعامل مع لواء أحمد كامل البدرى رئيس مؤسسة البترول ومع الرئيس أنور السادات ومساعديه ممن حاز ثقتهم ورضاهم . واستمر تقدمه فى المناصب إلى نائب رئيس الوزراء للإنتاج ووزير البترول حيث كانت تتبعه عدة وزارات مثل الصناعة والكهرباء والزراعة وغيرها.

منذ إنشائها عام ١٩١٦م كانت مصفاة السويس (معمل تكرير آبار الزيوت) تمد مصر بكامل احتياجاتها من المنتجات البترولية. وكانت هناك ثلاث طبقات واضحة من العاملين:

- الطبقة العليا من الأجانب من الإنجليز والهولنديين.
- الطبقة الوسطى من الموظفين المصريين.
- الطبقة الدنيا من العمال المصريين.

واختصت الطبقة الوسطى من المصريين بالتشغيل والصيانة والإشراف على العمل. إلا أن الأعمال التكنولوجية والتصميمات أو التعديلات فكان يختص بها اثنان من المهندسين الأجانب ممن كان لهم اتصال مباشر بمركز شل الرئيسى بلاهاى. كان هؤلاء هم العقل والفكر والعالمين

بأسرار الصناعة البترولية التى لا يستطيع المصريون الاقتراب منها. بل يقف هذا شاهدًا على تفوق الأجنبى التقنى والحضارى على الإنسان المصرى. ويصاحب هذا التفوق رداء من التعالى على الإنسان العربى المتخلف، لازال الغرب يمارسه جهارًا حتى اليوم.

كان أحمد هلال خريج الهندسة الكيماوية متفهمًا تمامًا لقيمة وأهمية امتلاك القدرة على تصميم وحدات الصناعة البترولية - ويعتبرها أملاً وحلمًا. حتى أننا حين بدأنا ممارسة هذا النشاط لأول مرة بشركة السويس لتصنيع البترول كان يحضر وهو وزير بترول لافتتاح هذه الوحدات ولا يخفى سعادته وفخره إننا تمكنا من الوصول بجهود مصرية لامتلاك القدرة على تصميم وتركيب وتنفيذ المشروعات البترولية عند التشغيل وأن الأداء كان مطابقًا لأسس التصميم، وكان يتمنى فى أعماقة قيام شركة تختص بتصميم الصناعات البترولية، ولهذا تبنى هذه المبادرة ودعمها فى عام ١٩٧٧م عند تأسيس شركة برون مصر.

وفى ١٥ مايو ١٩٨٢م قام أحمد عز الدين هلال نائب رئيس الوزراء ووزير البترول بأول زيارة له لإنبى - لم - يصحبه رئيس الهيئة أو أىٌ من معاونيه. تفقد باهتمام جميع إدارات الشركة وتعرف على العاملين بها. ثم عقد اجتماعًا مع بعض القيادات والمديرين، تحدث خلاله عن أهمية الدور الرائد لإنبى فى مجال التصميمات البترولية والتكنولوچيا الحديثة. وأوصى بضرورة توفير مناخ العمل الملائم لهذا العمل وعلى مراعاة احتياجات النمو المستقبلية وعلى أهمية الاهتمام بالعنصر البشرى وتوفير كافة الخدمات للعاملين مثل الخدمات الطبية والاجتماعية والرياضية، كما أوصى بتكوين جمعية تعاونية للإسكان يموٌل نشاطها بقروض يتم تقسيطها على فترات طويلة بفائدة مخفضة مؤكدًا أنه سيدعم جهود الشركة فى هذا الاتجاه.

وعرضنا عليه ما يواجه هذا النشاط الجديد على مصر من صعوبات من نقص فى الأفراد المتخصصين والمدربين وعدم إسناد أعمال لنا من شركات القطاع، وذلك حيث أن غالبية الشركات كانت تفضل التعاقد على مشروعاتها مع الشركات الهندسية الأجنبية: تسليم مفتاح.

وأشار إلى أنه لا بأس من أن تتعاقد الشركة فى هذه المرحلة كمقاول من الباطن للشركات الهندسية الأجنبية كخطوة لنقل الخبرة والتكنولوچيا، وأنه سيدعم إنبى باعتبارها شركةً وطنية مختصةً بتصميم المشروعات البترولية وعلى أن تتولى أيضًا الإشراف على تنفيذ وإدارة مشروعات القطاع نيابة عن هيئة البترول.

هلال يستمع إلى عرض عن الأنشطة الفنية ويجتمع بالقيادات

هلال يتفقد بسرور قدرات إنبى على التصميم

أعقب ذلك افتتاح الرئيس مبارك لمشروع غازات خليج السويس برأس شقير (١٩٨٢م)، وكانت فرصة هامة لعرض نشاط الشركة على الرئيس، وظل لسنوات هذا النشاط التكنولوچى الهام بعيدًا عن اهتمامات الناس وأجهزة الإعلام.

وفى ٢٩ إبريل عام ١٩٨٤م نظمنا مؤتمرًا عن السياسة التكنولوچية البترولية فى مصر كخطوه نحو تحقيق التنمية التكنولوچية، وكان ذلك بالتعاون مع هيئة البترول وأكاديمية البحث العلمى والتكنولوچيا، حضره أحمد هلال وزير البترول وابراهيم بدران رئيس الأكاديمية وعبد الهادى قنديل رئيس الهيئة، دعونا لهذا المؤتمر شخصيتين هامتين هما انريكى اجيلار من منظمة اليونيدو وأول مدير لهيئة تسجيل التكنولوچيا المكسيكية وهوزه دى لاس فوينتس مدير تنمية الأعمال بمعهد البترول المكسيكى المناظر لإنبى إضافة إلى قيامه بنشاط البحوث والتطوير. عرض كلاهما تجربة المكسيك الرائدة فى المجال والدور الوطنى الهام الذى تتبناه الدولة هناك وشركة بيمكس (هيئة البترول المكسيكية). وقد أسفر هذا المؤتمر عن توصيات أقرها أحمد هلال نائب رئيس مجلس الوزراء للإنتاج ووزير البترول أهمها:

- تشجيع سياسة إسناد المشروعات إلى الشركات الوطنية، إذ يتم من خلالها بناء الكوادر وتوفير الخبرة الفنية القادرة على استيعاب التكنولوچيا.

أحمد هلال يتفقد أول نموذج مجسم فى مصر
أعده قسم النماذج لمشروع رأس بكر
يُرى بالصورة المرحوم / ثروت بسيونى

- استمرار سياسة قطاع البترول فى نقل التكنولوچيا بإنشاء الشركات المشتركة المتخصصة فى مختلف المجالات.

- تخطيط تصنيع المعدات البترولية فى ضوء خطة المشروعات.

كنا فى ذلك الوقت فى حاجة شديدة إلى دعم سياسى للحصول على أعمال من شركات قطاع البترول.

تولى أحمد هلال وزارة البترول فى مارس ١٩٧٣م وخرج منها فى يوليو ١٩٨٤م وتوفى فى نهاية عام ١٩٩٥م. وأذكر أنه اتصل بى قبل وفاته بأسبوعين ليشكرنى على حضور حفل متواضع لتكريمه انعقد بنادى نقابة التطبيقيين بالإسكندرية، لم يحضره سوى اثنين من رؤساء شركات البترول بالإسكندرية وبعض العاملين والعاملات بهذه الشركات. واسترعى انتباهى غياب الذين كان له الفضل فى صعودهم وشهرتهم.